" أن معدا تتابعت عليها سنوات جهد الناس فيها جهدا شديدا وكانت غطفان من أحسن معد فيها حالا وكان في بعض تلك السنين عروة بن عابس بن زيد بن عبدالله بن ناشب بن سفيان بن هرم بن عوف بن غالب بن قطيعة ابن عيسى بن بغيض بن معد وكنيته أبو نجدة ويعرف بعروة الصعاليك غائبا فرجع مخفقا قد أهلك إبله وخيله ، وجاء إلى قومه بحال شديدة ، فإذا فخذ عروة أي قومه قصرة قد حظروا عليهم كنيفا لما أعوزتهم المكاسب وقالوا نموت فيها جوعا خير من أن تأكلنا الذئاب فأتاهم عروة فنزع عنهم كنيفهم وقال لهم أخرجوا وهذه قلوصي فقددوا لحمها واحملوا أسلحتكم على هذه القلوص حتى أصيب لكم ما تعيشون به أو أموت ، فخرج ميامنا عن المدينة ، يريد أرض قضاعة وقصد بلقين فمر بمالك بن حمار بن مخاشن بن لأي بن شمخ بن فزارة ، وقد أنفد ما معه فقال له مالك : أين تنطلق بفتيانك هؤلاء ارجع بهم تهلكهم ضيعة . قال إن الضيعة ما تأمرني به ، دعني ألتمس معاشا لي ولقومي أو أموت فالموت خير من الهزال فقال له مالك إن أطعتني رجعت على حرسين وهما جبلان في أرض بني فزارة كما يقول عروة كيف أصنع بمن كنت عودته إذا جاءني وعراني فقال : يعذرك إذا لم يكن عندك شيء ، فقال : ولكني لا أعذر نفسي بترك الطلب ... فأعطاه مالك بعيرا فقسمه بين أصحابه وسار حتى أتى أرض بني القين وهم بأرض التيه فهبط أرضا ذات لخافيق فرأى عليه آثارا فقال: هذه آثار من يرد هذا الماء ، فاكمنوا فأخرَ أن يكون قد جاءكم رزق في أرض بني القين ، وتلك عرا من الشجر العظام إذا أجدب الناس رعوها فعاشوا فيها فأقام أصحاب عروة يوما ، ثم ورد عليهم فصيل فقالوا: دعنا فلنأخذه فنعيش به أياما ، فقال: إنكم إذا تنفرون أهله إن همو برعي هذا الشجر وإن بعد هذا الفصيل إبلا ، فتركوه فندم قوم عروة ، فجعلوا يلومنه ، فوردت الإبل بعد خمس ، فوردت منها مائة معها فصلانها فيها ، فارس معه سلاحه وضعينته ، فلما وردت الإبل خرج إليه عروة فرماه بسهم في مرجع كتفيه ، فأخرجه من تندوته واستاق الإبل والضعينة حتى أتى قومه فأحياهم ..."[1]

يظهر الخطاب السردي الساخر المندد في هذه القصة اختلال القوى وفقدان التوازن في القبيلة ، ليعاد بناء الأدوار فتحتل القبيلة دور الفرد الضعيف ، ويحتل الفرد دور القبيلة لا في صورتها السلبية تجاه الأفراد ، وإنما في صورتها الإيجابية التي تكفل حق الحياة والعيش لأفرادها ، وذلك من خلال خطاب يعرض بدور القبيلة التي تخلت عن أفراد منها لضعف حالهم أو لضعف نسبهم ، كما حدث مع عروة بن الورد الذي أسقطته من قائمتها وأبعدته عن هرمها القبلي لضعف نسبه من جهة أمه مع أنه جزء من القبيلة من جهة أبيه ، فقد قيل (فخذ عروة أي قومه) . ويستمر تبادل الأدوار من خلال الخطاب الساخر المعرّض بتحمل الفرد مسؤوليات القبيلة ( لا أعذر نفسي بترك الطلب) وتكلفه بهم (وهذه قلوصي فقددوا لحمها).

(واحملوا أسلحتكم على هذه القلوص حتى أصيب لكم ما تعيشون به أو أموت)

( فأعطاه مالك بعيرا فقسمه بين أصحابه)

( واستاق الإبل والضيعة حتى أتى قومه فأحياهم...)

هذا الصنيع – الإنقاذ – وقد اختزل في شخص عروة هو في الأصل واجب القبيلة تجاه أفرادها.

---

(١) السابق ١/٨.

هكذا نلحظ سيادة خطاب السرد في قصص الصعاليك وتنوعه ليشمل الخطاب الواقعي بأحداثه المرتبطة بشخصيات واقعية وبزمان ومكان محدد . ولعل سيادة حياة القلق والتوتر على حياتهم دفعتهم للتخيل والتهويل مما استدعى ظهور الخطاب الفنتازي كما ظهر الخطاب الساخر المندد بالقبيلة ونظامها السلطوي.

## العـــــــــرض

تتداخل الخطابات في قصص الصعاليك وتتجاوز ليمنح كل منهما البناء القصصي مكونات وجوده. إذا كان خطاب السرد بأنواعه خطابا سائدا على هذه القصص لارتباطه بالحركة التي تتفق وتتواءم مع حركة الصعاليك الدائبة وحياتهم غير المستقرة ، فإن تدوين هذه القصص كتاريخ تسجيلي منحها مقومات بنى العرض ، لذلك لم يخل من الوصف والحوار . وقد تضافرت هذه الخطابات وكمل بعضها بعضا لتصنع بناء قصصياً متكاملاً.

العرض

الحوار — الوصف

**الوصف:**

يتشكل الوصف من خلال اللغة كأي عنصر من عناصر مكونات بنية النص القصصي ، فيتكون من جمل وعبارات وتراكيب ودلالات تنصب جميعها في مقطع أو مقاطع متعددة . ويكتسب المقطع الوصفي أهميته من ترابطه ، وعلاقته بالمقاطع الإنشائية الأخرى . وغالبا ما يتدخل هذا المقطع مع السرد والحوار داخل البناء القصصي ليؤدي كل منها دوره في تشكيل المعنى.

وقد قام الوصف الخطابي على دعامتين أساسيتين هما:

- **وظيفة جمالية** : يقوم الوصف فيها بعمل تجميلي ، وهو وصف خالص لا ضرورة له بالنسبة لدلالة الحكي ، وإنما يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية[1] . وهذا النوع من الوصف لم يرد في قصص الصعاليك ولعل ذلك يعود إلى أن هذه القصص ما هي إلا تاريخ تسجيلي يصف حياة الصعاليك ويسرد أخبارهم المعتمدة على التنقل والسرعة والقتال.

---

(١) بنية النص السردي ص٧٩.

- **وظيفة توضيحية أو تفسيرية** : يقوم الوصف فيها بوظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكي[1] . ويظهر هذا النوع من الوصف في قصص الصعاليك من خلال صور متعددة من ذلك قصة تأبط شراً مع الغول قيل:

**اخبرني الجرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا أبو سعيد السكري قال : حدثنا ابن الأثرم ، عن أبيه وحدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو قالا : كان تأبط شرا يعدو على رجليه ، وكان فاتكا شديدا فبات ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحى بطان ، فلقيته الغول فما زال يقابلها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه ، قال : والغول سبع من سباع الجن وجعل يراوغها وهي تطلبه وتلتمس غرة منه فلا تقدر عليه إلى أن أصبح . فقال تأبط شرا**

الا مَـــن مُبلِـــغٌ فِتيَـــانَ فهـــم ... بِمـــا لاقيـــتُ عِنـــدَ رَحـــى بِطـــانِ
بِـــأنّي قـــد لقيـــتُ الغـــولَ تَهـــوي ... بِسَـــهبٍ كالصَـــحيفةِ صَحصَـــحانِ
فقلـــتُ لهـــا كِلانـــا نِضـــوُ أيـــنٍ ... أخـــو سَـــفرٍ فخَلّـــي لـــي مَكـــاني
فشَـــدّت شَـــدّةً نَحـــوي فـــأهوى ... لهـــا كفّـــي بِمَصـــقولٍ يَمـــاني
فأضـــربُها بِـــلا دَهَـــشٍ فخَـــرّت ... صَـــريعا لِليَـــدَينِ وَلِلجِـــرانِ
فقالـــت عُـــد فقلـــتُ لهـــا رُوَيـــدا ... مَكانَـــكِ إنّـــني ثَبـــتُ الجنـــانِ
فلـــم أنفـــك مُتّكِئـــا عَليهـــا ... لِـــانظرَ مُصـــبِحا مـــاذا أتـــاني
إذا عَينـــانِ فـــي رَأسٍ قَبـــيحٍ ... كَـــرَأسِ الهِـــرِّ مَشـــقوقِ اللِسـانِ
وَســـاقا مُخـــدَجٍ وَشَـــواةُ كَلـــبٍ ... وَثَـــوبٌ مِـــن عَبـــاءٍ أو شَـــنانِ[2]

يرتكز النص على بنى متداخلة هي مزيج من السرد والوصف والحوار يكمل كل منهما الآخر في إيصال المعنى . وإذ كان النص قد بدأ بالسرد " كان تأبط شراً ... " فإنه ينتهي بالوصف لكن في قالب شعري

إذا عَينـــانِ فـــي رَأسٍ قَبـــيحٍ ... كَـــرَأسِ الهِـــرِّ مَشـــقوقِ اللِسـانِ
وَســـاقا مُخـــدَجٍ وَشَـــواةُ كَلـــبٍ ... وَثَـــوبٌ مِـــن عَبـــاءٍ أو شَـــنانِ

وقد ساعد حضور السرد على تفعيل الزمن بمستوييه الماضي والمضارع . وقد انعكس هذا الامتداد الزمني على الصفات لتصبح ممتدة بين الزمنيين فعبارة " كان تأبط شراً يعدو..." تتوسط ما بين الفعل الماضي والمضارع في اسم يحمل معنى الفعل ٠تأبط شرا) ليكرس السرد دوره في تحريك الزمن الذي لا يلبث أن يتوقف ليفسح المجال للوصف من خلال شبه الجملة ( على رجليه) وهي تبدو أقرب للزيادة في الكلام إذا أن كل من يعدو لابد وأن يعدو على رجليه ، ولكن التركيز عليها ما هو إلا تركيز على ميزة عرفت بها هذه الشخصية وكأنه لا يذكر إلا بمقدرته التي قيل عنها " إن تأبط شراً كان أعدى ذي رجلين ، وذي ساقين وذي عينين..."[3]

---

(١) السابق

(٢) الأغاني ٢١/٩٠-٩١.

(٣) السابق ٢١/٨٧.

ويظل الإلحاح على المزاوجة في القصة بين السرد والوصف (كان فاتكا شديدا) ليدل السرد من خلال زمنه الماضي على التسليم بحمله للوصف بعده ممهدا بهذا الوصف للصراع الذي يتطلب الفتك والشدة ، كما أن هذا الوصف كان سببا لجملة السرد التالية " فبات ليلة..." فتحمل بُنية السرد (بات) دلالة السكون وكأنما بات لأنه مطمئن لقوته واثق من نفسه ، وبذلك تظهر بُنية السرد مقابلة ومناقضة لبُنية الوصف " ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد..." فالسرد يحمل تفعيلا ولكنه سلب هذا التفعيل بفعل دلالة البيات على السكون والهدوء ، ولكن الحركة والتفعيل ظهرتا من خلال البرق والرعد وما يحملانه من ضجيج وصخب في مكان مظلم يوحي بالشدة والقوة " رحى بطان" وبذلك تتظافر في الوصف الحواس البصرية والسمعية مع المعنى الدلالي لنقل صورة مرعبة مخيفة تشكل إطارا زمانيا للحدث الرئيسي في القصة وهو الصراع مع الغول.

وعلى الرغم من دلالة لفظ الغول على الاغتيال والموت إلا أن التعريف زاد في التهويل منه من خلال جملة الوصف " والغول سبع من سباع الجن" . ومع ذلك كله ينتهي صراع تأبط شراً معها بانتصاره عليها بعد تكرار محاولتها النيل منه " لقيته الغول ..... لقيته الغول ..... هي تطلبه... هي تلتمس غرة منه..." ولكن النتيجة " لا تقدر عليه ..." وإذا به يقدر عليها لتمتعه بالصفات السابقة.

يضعنا صراع تأبط شراً مع الغول أمام بُنيتين وقوتين . البنية الأولى سردية يظهر فيها تأبط شراً في دور المفعل للحدث" مازال يقاتلها ... جعل يراوغها ... ومن خلال هذه البنية كان العمل على تحريك النص رغم الجنوح للمسالمة . أما البُنية الثانية فهي وصفية وفيها يظهر الغول من خلال محاولتها المستمرة لنيل من تأبط شرا" هي تطلبه ... جعل يراوغها... هي تطلبه..." إلا أن ظهور هذه المحاولات تسلب بُنية الوصف القدرة على تفعيل الحدث . ولعل جنوح تأبط شراً للمسالمة رغم إصرار الغول على النيل منه كان نابعاً من رغبة تبناها دفعته إلى تلمس علاقة ما بهذا الغول من خلال الوصف فهو يقول:

" كلانا نضوأين ... أخو سفر..." ثم من خلال الحوار ، " فقلت ... فقالت" . وكانت هذه الرغبة قد ظهرت عند غيره من الصعاليك . كقول الشنفري:

أقيمـوا بنـي أُمّـي صُـدورَ مَطِـيّكُم  فَـإنّي إلـى قَـومٍ سِـواكُم لَأَمَيـلُ

ثم قوله :

وَلـي دونَكُـم أَهلَـونَ سـيدٌ عَمَلَّـسٌ  وَأَرقَـطُ زُهلـولٌ وَعَرفـاءُ جَيـأَلُ

هُـمُ الـرَهطُ لا مُسـتَودَعُ السِـرَّ شـائِع لَـدَيهِم وَلا الجـاني بِمـا جَـرَّ يُخـذَلُ[1]

ذلك أنهم قد وجدوا في هذا المجتمع الحيواني بديلاً عن المجتمع القبلي الذي طردوا منه وخلعوا . وهكذا نلحظ أن الوصف كان مكملا للمعني ملتحما مع السرد في بناء النص القصصي

وإذا كان الوصف في قصة تأبط شرا قد ركز على إبراز ما تميز به من عدو وقوة فإنه في قصة عروة بن الورد يركز على شيء آخر.

" كان عروة بن الورد مع عشيرته في شتاء شديد قد سعى عليهم شتاءه كله وكنف عليهم وكان أول ما أصاب لهم ناقتان دهماوان، فنحر أحدهما وحمل متاعهم وضعفاهم على الأخرى، فجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان، وكان بين النقدة والربذة يقال له ماوان نزل بهم عليه ثم إن الله قيض له رجلا صاحب مائة من الإبل قد فر بها من عقوق أهله وذلك أول ما ألبن الناس واحتلبوا فقتله وأخذ إبله وامرأته، وكانت حسناء ، فأتى بالإبل الكنيف فجعل يحلبها ، ثم يحملهم عليها، حتى إذا دنوا من بلادهم وعشائرهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم، واستخلص المرأة لنفسه فقالوا: لا واللات لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شاء أخذها من سهمه ، فجعل بهم أن يحمل عليهم ليقتلهم وينتزع ما معهم ثم يتذكر صنيعته بهم ، وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، ففكر طويلا ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الإبل إلا راحلته يحمل عليها امرأته حتى يلحق بأهله فأبوا إلا أن يجعل الراحلة لهم فانتدب رجل منهم فجعل الراحلة من نصيبه وافقرها عروة أي منحه إياها منيحة إذا استغنى عنها ردها[2].

تتضافر في هذا الخطاب القصصي بنى النص السردية والوصفية لنقل وقائع القصة التي ترتكز على فكرة التكافل الاجتماعي التي كان يتزعمها عروة بن الورد حتى اشتق منها له اسم فعرف بعروة الصعاليك . وإذا كان السرد قد عمل على تفعيل الحدث في القصة وتحريك الزمن فيها عبر نسق زمني يهدف إلى تطور الأحداث وتسلسلها فإن الوصف تولى تأخير القصة زمانياً ممهداً للحدث ومفسراً له . فقد تم تحديد الزمان بقوله : " شتاء شديد ليترك هذا الزمان أثره على بيئة القصة ويكون مدعاة للقحط والجدب وحاجة الناس وعوزهم، وسبباً لظهور السطو والفتك . "فصاحب النوق قد فر من عقوق أهله " . ثم إنه كان مدعاة لظهور التكافل الذي تزعمه عروة بن الورد وبرز فيه . كما حدد المكان " ما بين النقدة والربذة ماء يقال له ماوان نزل بهم عليه..." لتظهر من بُنيه الوصف فكرة التربص وتراخي الزمن انتظاراً لحل الأزمة حلا قدريا . لذلك كان بُنية وصفية " ثم إن الله قيض له رجلاً صاحب مائة من الإبل..." ليحمل النص بعد ذلك تنقلاً بين بنيتين إحداهما بُنية سردية يظهر فيها تفعيل فكرة العطاء والتكافل وما فيها من تفعيل للحدث ويمثلها عروة بن الورد.

---

(١) ديوانا عروة والسموأل ص٥.

(٢) ديوان الحماسة ٩/١.

- أتى بالإبل .
- جعل يحلبها .
- يحملهم عليها .
- أقبل يقسمها بينهم .
- أخذ مثل نصيب أحدهم.

وتتقاطع هذه البُنية السردية مع بُنية وصفية يظهر فيها الجحود والتخاذل . وفيها تعطيل للزمن والفعل معاً بما تحمله من رفض (لا واللات لا نرضى...) هذه البنُية الوصفية أحدثت صرعاً داخليا في نفس عروة بين الواجب الذي فرضه على نفسه وصنعيهم الذي يكشف أطماعهم لتحضر بُنية السرد حاملة هذا الصراع ومتناقضة مع موقفه السابق.

- يحمل عليهم .
- يقتلهم .
- يتنزع ما معهم .
- يتذكر صنيعه.
- إن فعل أفسد ما كان صنع.

وينتهي الصراع في بُنية السرد إلى تمسك عروة بأيدولوجيته التي فرضها على نفسه (أجابهم) وهكذا كانت بُنية الوصف بُنية أساسية في الخطاب القصصي حتى أنها كادت تغير مجرى القصة لولا بُنية الحوار الداخلي التي دفعته إلى الفعل الإيجابي الذي انتهت عليه صيغ الخطاب.

**الحـــوار:**

يضمن الحوار في النص القصصي إمكانات الجدل والسرد والتحاور ، كما يشيد مسارات السرد ويشخص المحكيات ، ناهضا بوظيفة التواصل بين الشخوص مفصحاً عن رؤاها ومواقفها . كما يمنحها الواقعية يمنح المخاطب إمكانية معايشة الحدث والمكان والزمان وذلك بنقله إلى الزمن الذي كانت فيه الأحداث.

ويحوز الحوار وظيفيتين تتضافران معاً لبناء الخطاب هما:

- وظيفة أيدولوجية تتمثل في دفاع المتكلم عن موقف معين مفنداً أو مؤكداً أو مستبقاً للأجوبة.

- وظيفة أخرى تتداخل مع الوظيفة السابقة وتتجلى في قدرة الحوار على إضفاء الطابع الشخصي على مرسل الخطاب وتؤكد الإيهام بواقعية الكلام[1].

وفي قصص الصعاليك تقوم هاتان الوظيفتان بنقل أفكار الصعاليك ورؤاهم ودوافعهم ونظرتهم إلى المجتمع من حولهم وسلوكهم معه . ويظهر الحوار على شكل حوار داخلي مع الذات وحوار خارجي مع الآخر .

**الحوار الداخلي:**

يظهر الحوار الداخلي في حديث للنفس تنشطر فيه الذات على نفسها لتخلق منها ذاتا تناقشها وتنفذ فكرها وآراءها ودوافعها وتنتقل أيدولوجيتها التي تؤمن بها . ومن ذلك ما ظهر في قصة عروة بن الورد[2] ، فقد نقل الحوار الداخلي تردده بين الواجب الذي فرضه على نفسه وهو التكفل بالضعفاء – وهي الأيدولوجية التي ارتضاها لنفسه – الرد على صنيعهم معه وطمعهم فيه.

" فجعل بهم أن يحمل عليهم ليقتلهم وينتزع ما معهم ثم يتذكر صنيعه بهم ، وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان صنع ففكر طويلا ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الإبل..."[3].

فهذا الحوار الداخلي يكشف عن الصراع الذي قام في نفس عروة بن الورد وعن مدى قناعته بأفكاره ومعتقداته التي آمن بها وفرضها على نفسه حتى أصبحت واجبا عليه وهو التكفل بالضعفاء . وفي ذلك إشارة إلى الواجب الذي أسقطته القبيلة عن كاهلها بإسقاط الضعفاء والمعوزين من قائمتها.

ومن الحوار الداخلي ما يظهر على شكل مناجاة ، من ذلك ما ورد عن السليك بن السلكة فقد قيل :

" وقال المفضل في روايته : وكان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم. وكانت العرب تدعوه سليك المقانب وكان أدل الناس بالأرض، وأعلمهم بمسالكها، وأشدهم عدواً على رجليه لا تعلق به الخيل. وكان يقول: اللهم إنك تهيئ ما شئت لما شئت، اللهم إني

---

(١) جمالية النص الروائي ٩٤-٩٥.

(٢) انظر ص من البحث

(٣) السابق

لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة"[1].

فقد مهد المفضل الضبي لدعاء السليك ومناجاته لربه بتعريف له وأبرز قوته وسرعته وبراعته ومعرفته بالأماكن والمسالك ، ودلل على ذلك بما اشتهر به لدى العرب ليحمل على التسليم بقوة السليك واعتداده بذاته مما يدفع عنه شبهة الضعف التي قد تفهم مع الحوار والمناجاة بعد أن استسلمت هذه القوة إلى حالة هدوء ومكاشفة مع الله والذات . ذاكراً أسباب انتهاجه لنهج الصعاليك وتتمثل هذه الأسباب في ظلم المجتمع للضعيف والمرأة. ولقد كشفت هذه المناجاة عن أيدولوجية السليك وقناعاته وأفكاره كما كشفت عن واقعية النفس البشرية واستسلامها إلى خالقها في حالة ضعفها مهما بلغت قوتها.

**الحوار الخارجي:**

يظهر تعدد الشخصيات في الحوار الخارجي فقد يكون بين اثنين أو أكثر . ويساعد هذا الحوار على الكشف عن الشخصيات ونفسياتها ويربطها بالواقع ، كما يمنح المخاطب معايشة الحدث وتدرجه . ومن ذلك ما ورد في حوار مع تأبط شراً فقد قيل:

" أخبرنا الحسين بن يحي : قال قرأت على حماد : وحدثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللهبي : قال : قيل لتأبط شراً : هذه الرجال غلبتها ، فكيف لا تنهشك الحيات في سراك؟ فقال : إني لأسري البردين . يعني أول الليل ، لأنها تمور خارجة من حجرتها ، وآخر الليل تمور مقبلة إليها"[2].

يدور الحوار بين طرفين الطرف الأول وهو مجهول "قيل" ، يحمل مع ذلك استفساراً يدور في ذهن جماعي عن هذه القوة التي تجاوز بها تأبط شراً التغلب على البشر إلى التغلب على الأفاعي والحيات لتأتي الإجابة من قبل الطرف الثاني تأبط شراً على السؤال المطروح . فيدل الجواب على ما تميز به تأبط شراً ، إلى جانب القوة ، من معرفة بالأوقات التي تجنبه الخطر فيتجاوزه . فيكشف الجواب عن دهاءٍ ومعرفة إلى جانب القوة ، كما يكشف عن طبيعة المناطق الوعرة وكثرة أخطارها.

---

(١) الأغاني ٢٠/٤٦٤.

(٢) السابق ٢١/٨٨.

ويظهر الحوار أيضا في قصة أبي خراش وزوجته مع بني الدايل[1]، وقد كانت بينه وبينهم ثارات برز الحوار في القصة عبر شخصيات متعددة ، ساعد صوت الراوي على التنسيق بينها بينما وكان ذلك على النحو التالي:

الحوار بين أبي خراش وزوجته أم خراش:

قال لزوجته أم خراش : ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة وإنك من أفك النساء وإن بني الدايل يطلبونني بتراث فإياك وأن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها!.

قال : معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب.

الحوار بين فتيان من بني الدايل:

قال أحدهما لصاحبه : أم خراش ورب الكعبة؟ وإنها لمن أفك النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلنا عليه.

الحوار بين أم خراش وفتيان من بني الدايل.

قالت: من أنتما بأبي أنتما ؟!

فقالا: رجلان من أهلك من هذيل.

فقالت: بأبي أنتما فإن أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد، ونحن رائحون العشية.

الحوار بين أبي خراش وزوجته أم خراش

قال لها: قتلتني. ورب الكعبة لمن ذكرتني؟

قالت: ما ذكرتك لأحد إلا لفتيين من هذيل.

قال لها : والله ما هما من هذيل؟ ولكنهما من بني الدايل، وقد جلسا لي وجمعا عليّ من قومهم .

يقطع الحوارات السابقة صوت الراوي لغير شخصيات المتحاورين ويضيف ما يخدم البناء القصصي الذي ينتهي بالحوار بين أم خراش و والد أبي خراش وجاء فيه:

---

(١) انظر النص كاملا في الأغاني ٢١/٣١٢-٣١٣.

نادت : لا إن أبا خراش قد قتل.

قام أبوه وقال : ويحك ما كانت قصته؟

فقالت : إن بني الدايل عرضوا له الساعة في العقبة.

قال : فما رأيت ، أو ما سمعت؟

قالت : سمعتهم يقولون يا مخلد أخذاً أخذاً

قال : ثم سمعت ماذا؟

قالت : ثم سمعتهم يقولون ضرباً ضرباً.

قال : ثم سمعت ماذا؟

قالت : سمعتهم يقولون رميا رميا.

قال : فإن كنت سمعت رميا رميا فقد أفلت[1].

انتهى النص القصصي بنجاة أبي خراش مثل ما استنتج والده . كما نلحظ أن الحوار يحمل المخاطب على معايشة الحدث وتتبعه عبر شخصياته وما تتسم به مكوناً فكرة عنهم تتمثل في ما يلي:

- عدم نباهة أم خراش وإفشائها لسر زوجها رغم تحذيره.
- مراوغة بني الدايل وخبثهم وإفشائها لسر زوجها رغم تحذيره.
- قوة أبي خراش وسرعته التي مكنته من الفرار من المتربصين به.
- سعة معرفة والد أبي خراش بدلالات الألفاظ واستخدامها.

وهكذا أسهم الحوار في نقل أحداث القصة عبر أصوات متعددة.

---

(١) جماليات المكان في الرواية العربية . شاكر النابلسي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ت ١٩٩٤م) ص٣٢٧.

## الخاتمة

جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد ومبحثين وتناولت المقدمة أسباب اختيار الموضوع وصعوباته ومنهجه . وتناول التمهيد تأصيل الخطاب في الثقافة العربية وتحديد تعريف للخطاب تتبناه الدراسة وتسير عليه ، كما تناول حياة الصعاليك ونشأتهم ومصادر قصصهم المتناثرة في بطون أمهات الكتب ولقد أبرز التمهيد النتائج التالية:

- اختلاف مفهوم الصعلكة وأيدلوجية الصعاليك في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وبني أمية – موضوع الدراسة – عن الصعلكة والصعاليك في العصور التالية حتى إنها اتخذت أسماء مثل (العيارين) . واختلفت أيدلوجيتهم لاختلاف الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- تحقيق مخرجات الخطاب القصصي في قصص الصعاليك بوجود مخاطِب ومخاطَب ومادة خطاب ( المادة القصصية) .
- ارتباط هذه القصص بزمن ومكان محددين.
- ارتباط هذه القصص بأحداث تاريخية واجتماعية ونفسية.
- تميز هذه القصص بالانغلاق (أي لكل قصة بداية ونهاية)
- تمثيل الخطاب في قصص الصعاليك لخطاب الثورة والتمرد على الخطاب السلطوي الذي تتبناه القبيلة المحتمية بقوة الجماعة المبنية على سلامة الدم واللون والعرق.

وتمت الدراسة في مبحثين على النحو التالي:

الفصل الأول صيغ الخطاب : يقع هذا الفصل في مبحثين.

- السرد .
- العرض.

أما المبحث الأول (السرد) فيقع في محورين:

المحور الأول هو الراوي

وقد أسفرت دراسة الراوي عن النتائج التالية:

- اعتماد هذه القصص قبل مرحلة التدوين على الرواية الشفوية (وهم رواة من خارج النص القصصي)
- إسهام الراوية الشفوية في تعدد الرواة واختلاف مروياتهم.

- تشارك الرواة من الخارج والداخل في تحقيق الوظائف التالية:

- وظيفة الحكي والإخبار : بهدف توصيل الخبر ونقله ، وهي الوظيفة الرئيسة للراوي.
- وظيفة التوثيق : وقد ساعدت على إضفاء الواقعية على الخطاب ، وتقبل المخاطَب له. وظهرت هذه الوظيفة في قصص الصعاليك من خلال المحافظة على السند وعنعنته، وتقصي الخبر ، وتتبع الروايات المختلفة له ، والاستشهاد بالشعر والمثل وتحديد مكان الحدث وزمنه.
- وظيفة الشرح والتفسير والتعليق : تنقل فكر الراوي ومعرفته إلى جانب فكر شخصيات القصة وتختلف هذه الوظيفة باختلاف الرواة ومدى تدخلهم في البناء القصصي.

وتناول الشرح والتعليق والتفسير التعريف بالشخصية ، وتحديدها ، ووصف هيئتها وتحديد الزمن والمكان ، والتأكيد على بعض الأحداث لإبرازها.

المحور الثاني : أنواع السرد : وقد أسفرت دراسة السرد وأنوعه عن النتائج التالية:

- ارتباط السرد بالراوي .
- سيادة خطاب السرد على قصص الصعاليك لاعتماد الراوي على الاختزال والإجمال ، فيعكس بذلك حياة الصعاليك القائمة على السرعة والتنقل.
- تداخل خطاب السرد في قصص الصعاليك ليشمل :
  - خطاب السرد الواقعي يتحقق فيها استراتيجيات الخطاب الواقعي المتمثلة في:
    - الأحداث المرتبطة بشخصيات واقعية.
    - وقعت الأحداث في زمر ومكان محدد.
    - وجود دلالة مباشرة لرواية القصة مع احتمالية عدم وقوعها.
    - تناول القصة عوالم ظاهرة مدركة بالحواس.

وقد يفقد الخطاب الواقعي شرط الواقعية فيتحول إلى خطاب فنتازي ، كما قد يفقد العلاقة المباشرة الواضحة بين الراوي المروي لهم فيتحول إلى خطاب ساخر.

خطاب السرد الفنتازي (الغرائبي والعجائبي) وقد ساعدت حياة الصعاليك وما فيها من غربة وعزلة على ظهور الخطاب الغرائبي المثير للخوف والتوتر والقلق ؛ لتناوله قصص الجن والغول والعالم الغيبي ، على حين عكس الخطاب العجائبي حاجة الصعاليك لحياة الجماعة الآمنة المستقرة ولكنه كان أقل حضوراً من الخطاب الغرائبي ، ولعل اعتداد الصعلوك بنفسه كان وراء هذه القلة

خطاب السرد الساخر وقد وظف لمواجهة الحياة الدرامية التي يعيشها الصعاليك فيكشف به عن علاقات متوترة وشروخاً اجتماعية ونفسية عميقة تربط الصعاليك بالمجتمع من حولهم.

المبحث الثاني : العرض

وهو يرتبط بالشخصيات أكثر من ارتباطه بالراوي ، وتمت دراسته عبر محورين هما:

- الوصف : وقد أظهرت دراسته ما يلي:

- قام الوصف في قصص الصعاليك بوظيفة تتولى التوضيح والتفسير وهي وظيفة دالة رمزية .
- خلو خطاب الوصف في قصص الصعاليك من الوظيفة الجمالية ، ولعل هذا يعود لكونها دُونت على إنها تاريخ تسجيلي بهدف نقل الخبر وحفظه وتوضيحه وتفسيره لا تجميله.

- الحوار : وقد أظهرت دراسته ما يلي:-

- بروز الحوار من خلال الشخصيات ويتمثل في:
  - حوار داخلي مع الذات وهو يظهر في حديث النفس والصراع الداخلي والمناجاة وقد كان لحياة العزلة والغربة أثر في حضوره.
  - حوار خارجي يقوم بين شخصيات القصة.
- قيام الحوار في قصص الصعاليك بوظيفتين هما:
  - وظيفة التواصل بين الشخوص ، وإضفاء الطابع الشخصي عليها ومنحها الواقعية والمعايشة للحدث.
  - وظيفة أيدولوجية تكشف عن إيمان الصعاليك بأفكارهم ومعتقداتهم ومبادئهم وتمسكهم بها ودفاعهم عنها.

هذا ما انتهت إليه الدراسة وبالله التوفيق والسداد

## فهرس الموضوعات


مقدمة: ..... ٢
تأصيل الخطاب في الثقافة العربية: ..... ٤
مفهوم الخطاب عن بعض العرب المحدثين: ..... ٥
واقع الصعاليك وقصصهم ..... ٦
مصادر قصص الصعاليك ..... ١١
الخطاب عند الصعاليك ..... ١٤
صيغ الخطاب: ..... ١٥
مفهوم السرد ..... ١٥
السارد أو الراوي ..... ١٦
وظيفة الراوي في قصص الصعاليك ..... ١٨
(١) وظيفة الحكي والإخبار: ..... ١٨
(٢) وظيفة التوثيق: ..... ١٩
الإسناد: ..... ١٩
تقصي الخبر وتتبع الروايات: ..... ٢٠
الاستشهاد: ..... ٢٢
تحديد المكان: ..... ٢٣
(٣) وظيفة الشرح والتعليق والتفسير ..... ٢٤
التعريف بالشخصية ..... ٢٤
تحديد شخصيات القصة ..... ٢٤
وصف الشخصية من الجانب المادي أو المعنوي ..... ٢٥
وصف الهيئة ..... ٢٥
تحديد الزمن والمكان ..... ٢٥
التأكيد ودفع الشك ..... ٢٦
أنواع الخطاب السردي: ..... ٢٦
أنواع الخطاب السردي واشتراطاتها: ..... ٢٨
الخطاب الواقعي : ..... ٢٨
الخطاب الفنتازي ..... ٢٩
الخطاب الساخر: ..... ٣٤

العـــــرض ..... ٣٩
الوصف: ..... ٣٩
وظيفة جمالية ..... ٣٩
وظيفة توضيحية أو تفسيرية ..... ٤٠
الحـــوار: ..... ٤٣
الحوار الداخلي: ..... ٤٤
الحوار الخارجي: ..... ٤٥
الخاتمة ..... ٤٨
فهرس الموضوعات ..... ٥٢